﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾

[الحجر: 47]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

صفاء قلوب المؤمنين في الجنَّة عنوان دخولهم فيها

لمّا كان الأُنسُ لا يكمُلُ إلّا بمعايشة نفس النوع والجنسِ معَ كمالِ المودَّةِ وصفاءِ القلوبِ عن الكَدَرِ؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنَزَعۡنَا﴾: أصلُ (نزع): يَدُلُّ على قَلْعِ شَيْءٍ وإزالته بجَذْبٍ قَوِيٍّ[2]. النَّزْعُ: الإزالَةُ بِعُنْفٍ؛ لِئَلّا يَبْقَى اتِّصالٌ بَيْنَ المُزالِ، وبَيْنَ ما كانَ مُتَّصِلًا بِهِ، وَمِنْهُ نَزْعُ الثِّيابِ، ومنه: نَزْعُ العَداوة والمَحبَّة من القَلْبِ، والنَّزْعُ عن الشَّيءِ: الكَفُّ عنه، والنُّزوعُ: الاشتياق الشَّديد[3]. وانتزَعَ الشَّيءُ: انقلَع، ونزَعَ الأميرُ العامِلَ عَنْ عَمَلِه: أزالَه، وهو على المَثَلِ؛ لأنَّه إذا أزالَه؛ فَقَدِ اقْتَلَعَه[4]. والمَنْزَعة قوَّة عزم الرَّأْي والهمَّة، وَيُقالُ للرَّجُل الجيِّد الرَّأْي: إنَّه لجيِّد المَنْزَعة[5]. والنَّزع المقصود به في الآية: قَلْعُ الشَّيْءِ مِنْ مَوضِعِه، والمرادُ: إزالَةُ ما كانَ في قُلوبِهِم في الدُّنْيا مِنَ الغِلِّ عندَ تَلَقِّي ما يَسوءُ مِنَ الآخرين[6].

2) ﴿غِلٍّ﴾: أصلُ الكلِمَة يدلُّ على تَخَلُّلِ شَيْءٍ في شَيْءٍ وثَباته بحدَّة وقوة، كالشَّيْءِ يُغْرَزُ، مِن ذلك قَولُ العَربِ: غَلَلْتُ الشَّيْءَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/63.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نزع).
(3) الراغب، المفردات: (نزع)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/193.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (نزع).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/131.

في الشَّيْءِ، إذا أَثْبَتَّهُ فيه، كأنَّهُ غَرَزْتَهُ[1]؛ ومنه سُمِّي الغِلُّ؛ لأنَّ الحِقْدَ يَتَخلَّلُ الصَّدْرَ، والغِلُّ أيضًا: الغِشُّ والعَداوَةُ، مصدرُ الفِعْلِ غَلَّ، فيُقال: غَلَّ صَدرُهُ، يَغِلُّ: إذا غشَّ؛ وحَقَد، والغَليلُ: الحِقْدُ والحَسَدُ كالغِلِّ[2]. والمقصود بالغل في الآية: البُغْضُ.

3) ﴿سُرُرٍ﴾: أصلُ (سَرَّ): يدلُّ على إخْفاءِ الشَّيْءِ، وما كانَ مِنْ خالِصِهِ ومُسْتَقَرِّه، لا يَخْرُجُ شَيْءٌ منه عن هذا، فالسِّرُّ: خلاف الإعلان، يقال: أَسْرَرْتُ الشَّيءَ إسْرارًا، خِلافَ أعْلَنْتُهُ، ومنه السُّرورُ؛ لِأنَّهُ أمْرٌ خالٍ مِنَ الحُزْنِ[3]. والسَّريرُ: المُضطَجَعُ الَّذي يُجلَس عليه من السُّرور؛ إذ كان ذلك لأولي النِّعمة، وجمعه أسِرَّةٌ، وسُرُرٌ، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطور: 20]، ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣﴾ [الغاشية: 13]، وسَريرُ الميِّت تشبيهًا به في الصّورة، وللتَّفاؤل بالسُّرور الَّذي يلحق الميِّت برجوعه إلى جوار اللّٰه تعالى[4]. والسَّريرُ: مُسْتَقَرُّ الرأْس والعُنُق، وسَريرُ العيشِ: خَفْضُهُ ودَعَتُه وَما اسْتَقَرَّ واطمأنَّ عليه[5]. والمقصود بالسُّرُرِ في الآية: جَمْعُ سَريرٍ، وهو محملٌ كالكُرسيِّ مُتَّسِعٌ يُمكِنُ الاضْطِجاعُ عليه[6].

4) ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: أصلُ (قبل): أَصْلٌ واحِدٌ صَحِيحٌ تَدُلُّ كَلِمُهُ كُلُّها على مواجَهَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ بِمُقدَّمِه، فالْقُبُلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خِلافُ دُبُرِه، وذلكَ أَنَّ مُقدَّمَهُ يُقْبِلُ على الشَّيْءِ، والقِبْلَةُ سُمِّيَتْ قِبْلَةً؛ لِإقْبالِ النّاسِ عليها في صَلاتِهم، وهي مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِمْ أَيْضًا[7]. وقابَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ مُقابَلَةً وقِبالًا: عارَضَهُ، وتَقابَلَ القومُ: اسْتَقْبَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[8]. والمُقابَلَةُ والتَّقابُلُ: أن يُقْبِلَ بعضهم على بعض، إمّا بالذّات، وإمّا بالعناية والتَّوفُّر والمودَّة، قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: 16][9]. والمراد بالتَّقابُلِ في الآية: كَوْنُ الواحِدِ يُقابِلُ غَيْرَه بوجهه، وهو أَدْخلَ في التَّأنُّسِ بالرُّؤيةِ والمُحادثةِ[10].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (غل).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (غل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سر).
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سرر).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (سرر).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/56.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قبل).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (قبل).
(9) الراغب، المفردات: (قبل).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/56.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأُنسُ لا يَكمُلُ إلّا بمَن هم مِن جنسِهم مع كمالِ المودَّةِ، وصَفاءِ القُلوبِ عن الكَدَرِ

واقتَلَعْنا، وأخرَجْنا ما في صُدورِ هؤلاء المتَّقينَ مِن الحِقدِ والبُغضِ والحَسَدِ، الذي كان بينَهم في الدُّنيا، حالَ كونِهم إخوانًا، يكونونَ على الأسِرَّةِ بعضُهم في مقابِلِ بَعضٍ، ينظُرونَ إلى وُجوهِ جُلَسائِهم، ولا يَنظُرُ بعضُهم إلى قَفا بعضٍ، وأوَّلُ مَن يدخُلُ في هذا العُمومِ أصحابُ النبيِّ ﷺ فيما شجَرَ بينهم من الحوادث الدّافع إليها اختلافُ الاجتهاد في إقامة مصالح المسلمين، والشِّدَّةُ في إقامة الحقِّ على حسَبِ اجتهادِهم، كما دلَّت الآية على تزاوُرِ أهلِ الجنَّة، واجتماعِهم، وحُسنِ أدبِهم فيما بينهم؛ في كَونِ كُلٍّ منهم مُقابِلًا للآخَرِ، لا مُستدبِرًا له، متَّكِئينَ على تلك السُّرُرِ المُزَيَّنةِ بالفُرُشِ واللُّؤلؤِ وأنواعِ الجواهِرِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل بالواو في قولِه: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾:

الإخبار عن حالِ المتَّقين بعدَ معرفةِ مكانِهم وموضعِ استقرارِهم

لَمّا أخبر اللّه تعالى عن المتَّقين بأنَّهم في جنّاتٍ وعيونٍ؛ عطف على الخبر جملة: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾؛ لتكون هذه الجملة خبرًا آخر عن المتَّقين، والتقدير: وإنّا نَزَعْنا ما في صُدورِ المُتَّقِينَ مِنْ غِلٍّ[2]، أي: بعد أن أخبر عن مكانِهم يومَ القيامةِ، أخبر عن حالِهم عند اجتماعِهم في ذلك المكانِ.

براعة الاستعارة في قولِه: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾:

إزالةُ الغلِّ من صدورِ المؤمنين في الجنَّة من نعمِ الله عليهم

النَّزْعُ حَقِيقَةً: هو إزالَةُ الْجِرْمِ مِنْ مَكانِهِ وقلعه من موضعِه بقوَّةٍ وسرعةٍ، كَنَزْعِ الدَّلْوِ والثَّوْبِ، ونزع القوس عن كبده، فلمّا تعلَّق النَّزع بالغلِّ الذي هو معنى كامنٌ في الصَّدر؛ كان مجازًا بطريق الاستعارة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/75، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/32، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 431، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/55.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/55.

المكنيَّة، بتشبيه المَعْنَى المُتَمَكِّنِ بالذّاتِ المُتَّصِلَةِ بالمَكانِ وتشبيه إزالة وصفِ الغلِّ من صدور المؤمنين دفعةً واحدةً بحيث لا يبقى له أثرٌ بنزعِ الجرم من مكانِه المتمكّن فيه وقلعِه منه، ثم حُذِف المشبَّه به، وكُنِّيَ عنه بالنَّزع الذي هو من لوازمِه، ووجه الشَّبه تمكُّن كلٍّ في موضعِه بحيث يصعب قلعُه في العادة، وَنَزْعُ الغِلِّ مِنْ صدور أَهْلِ الجَنَّةِ هوَ إزالَةُ ما كانَ في قُلوبِهِمْ في الدُّنْيا مِنَ الحقد والضَّغينةِ والحسدِ، أي: أزالَ الله تعالى الغِلَّ وأسبابَه، وأزالَ طِباعَ الْغِلِّ الَّتِي في النُّفوسِ الْبَشَرِيَّةِ بِحَيْثُ لا يَخْطُرُ في نُفوسِهِمْ أبدًا[1].

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿وَنَزَعۡنَا﴾:

سرعة انتزاعِ الغلِّ من صدور المؤمنين في الجنَّة من غيرِ كلفةٍ عليهم

عُبِّرَ بـ﴿وَنَزَعۡنَا﴾ دون (انتزعنا) للإيذان بأنَّ نزعَ الغِلِّ من صدور المؤمنين يسيرٌ على الله تعالى، ولمّا كانت الصّيغة يأتي منها فعل معنى المطاوعة، فيقال: (نزعته، فانتُزِعَ)؛ أفادت قبول المؤمنين نزعَ الغِلِّ من صدورِهم من غيرِ مشقَّةٍ أو كلفةٍ عليهم، بحيث لا يحتاج إلى أصل المطاوعة.

بلاغةُ مجيء قولِه: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾:

لا يكون بين المؤمنين إلا التوادُّ والتعاطف

يحتمل أن يكون قد عُبِّرَ عن المستقبل بِلَفْظِ الْماضِي، وهو المناسبُ للمقام؛ لأنَّه في سياق ذكر ما يناله المؤمنون في الجنَّة، فعُبِّرَ بالماضي؛ لِلإيذانِ بتَحَقُّقِ وُقوعِه وتقرُّره، والمعنى: وَنَنْزِعُ ما في صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ؛ إذا دخلوا الجنَّة، أو قبل دخول الجنة مباشرة، فلا تبقى عداوةٌ ولا ضغينةٌ، قد وقعَت في الدنيا، ولا يبقى تحاسدٌ بسبب تفاضل منازلهم وتفاوت مراتبهم في الجنة، فنَزَعَ الله ذلك من قلوبهم، وطَيَّبَ سبحانه نفوسَهم، وطَهَّرَ ﷻ قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنَّة، وعلى هذا فما كان من جفاء أو

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 9/138، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نزع)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/213، 8/131.

عداوةٍ أو حقدٍ بين اثنين أو أكثر في الدنيا ينزعه الله منهم في الجنَّة، فيكونون إخوانًا على سررٍ متقابلين، والتَّعبير بالماضي عن المستقبل كثيرٌ في القُرآن كقولِه تعالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 44]، ويحتمل أن يكون التَّعبير بالماضي على ظاهرِه، وهو المناسب للصّيغة، والمعنى: نزع الله ما في صدور المؤمنين من غلٍّ في الدنيا، فألَّفَ بينَ قلوبِهم بالإيمانِ، كما يحتمل أن تُحمل الصِّيغةُ على النَّزع في الدنيا وفي الجنَّة معًا، فيكون التَّعبير بالماضي على طريقة التَّغليب، وهو أوفى بالمرام، فلا يكون بين المؤمنين إلا التوادُّ والتعاطف، ومن لطائف نزع الغلِّ أنَّ صاحبَ الغِلِّ متعذِّبٌ به، ولا عذابَ في الجنَّة[1].

نكتة التعبير بنون العظمة في ﴿وَنَزَعۡنَا﴾:

نـزْعُ الغلِّ من الصُّدور لا يكون إلّا من الملك الواحدِ الأحد

عُبِّرَ بنون التَّعظيم للإشعار بأنَّ نزعَ الغلِّ من الصُّدور لا يكون إلّا من الملك الواحدِ الأحد، لقوَّة تمكُّنه في مكامنِ الصُّدور، ففيه إشعارٌ إلى أنَّ من يريدُ نزعَ الغلِّ من صدرِه؛ فعليه التَّوجُّه إلى الله تعالى الذي بيدِه الأمرُ.

دلالة قولِه: ﴿وَنَزَعۡنَا﴾ بين الصَّريح والكناية:

بلاغة القرآن بالجمع بين الحقيقة والكناية

في قولِه تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ يحتمل أن يكون النَّزعُ المذكور بمعنى استخراجِ الغلِّ من صدور المؤمنين؛ إذا دخلوا الجنَّة، فيكون الكلام على مقتضى الظّاهر، ويحتمل أن يكون على خلاف مقتضى الظّاهر، بأن يكونَ النَّزْعُ لِلْغِلِّ كِنايَةً عَنْ خَلْقِهِمْ في الآخِرَةِ سالِمِي القُلُوبِ طاهِرِيها مُتَوادِّينَ مُتَعاطِفِينَ[2]، فلا نزعَ على الحقيقةِ ولا منزوع، فيكون الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر.

---

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/445، والواحدي، التفسير البسيط: 9/139، والزمخشري، الكشاف: 2/580، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/401، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/228، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/168، 169، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/131.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/53.

دلالة الاسم الموصول ﴿مَا﴾:

الغلُّ أساسُ الشَّرِّ ومنبعُ الاتِّصافِ بالقبائحِ

عبَّرَ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ دون (الذي) في قولِه: ﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾؛ لِأنَّه أكثر إبهامًا وعمومًا، فإنَّه لمّا قال ﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾؛ أفادَ العمومَ، ولمّا قال ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾؛ قيَّدَ المرادَ من الاسم الموصول، وكأنَّ الغِلَّ إذا كان في الصُّدور؛ امتلأت بالأوصاف القبيحة من العداوة والشَّحناء والبغضاء والحقدِ والحسد، فالغلُّ أساسُها ومنبعُها، أو يقال: لمّا أُطلق الغِلُّ على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد؛ كانت كلُّ هذه الخصال المذمومة داخلة في الغِلِّ؛ لأنَّها كامنةٌ في القلب، فعُبِّرَ عنها بلفظ العمومِ؛ لتناول الغِلِّ لجميعِ الخصالِ المذمومة الكامنة في القلوب[1].

دلالة قولِه: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾:

الغلُّ وصفٌ جامعٌ لكلِّ الخصالِ المذمومةِ الكامنة في القلوبِ

الجارُّ والمجرور في موضعِ الحال بتقدير كائنًا من غلٍّ[2]، لتقييد ما هو في صدور المؤمنين وبيان هيئتِه، فيكون الغِلُّ جامعًا لكلِّ الخصالِ المذمومةِ الكامنة في القلوب كما تقدَّم.

فائدة ﴿مِّنْ﴾ في قولِه: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾:

البيانُ بعد الإبهامِ

حرف الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ لبيانِ إبهامِ جنسِ ﴿مَا﴾[3]، و﴿غِلٍّ﴾ هو المبيِّن، لِيفيد عِظَمَ تغلغل الخصال المذمومة الكامنةِ في الصُّدور، فهي خفيَّةٌ، ومنبعُها هو الغلُّ.

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿غِلٍّ﴾:

تشبيهُ الغِلِّ بالثَّوبِ الخفيِّ عن العيونِ

نجد في قولِه تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أنَّهُ لمّا كان أصلُ الغِلِّ هو الثَّوب الذي يتدرَّع به الإنسانُ؛ كان إطلاقه على الضَّغينةِ - وما يكون منها من العداوة والحقدِ والإحَنِ، الَّتي تَحْصُلُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ إِدْراك ما يسوؤها مِنْ عَمَلِ غَيْرِها - على طريقة

(1) الخازن، لباب التأويل: 3/58.
(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 1/569، والهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 3/52.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 5/323، وابن عادل اللباب في علوم الكتاب: 9/117.

الاستعارة؛ إذ شُبِّهَت الضَّغينةُ والأوصافُ القبيحةُ التي تكمن في الصُّدور، فتكون خفيَّةً بما يلبسُ بين الثَّوبين، لتغلغل الضَّغينةِ وغيرِها بلطفٍ وحيلةٍ في داخل الصَّدر، فتكون كامنةً فيه(1).

سبب إيثار الحال في قولِه: ﴿إِخۡوَٰنًا﴾:

أخـوَّة الجنَّة أعظمُ من أخوَّة الدنيا وأدومُ وأخلصُ

لمّا أخبر اللّه تعالى أنَّ المتَّقين في جنات وعيون، وأنَّه نزع ما في صدورِهم من غلٍّ؛ بيَّن هيئتهم في الجنَّة، فهم إخوانٌ في الإيمانِ والمودَّة والمخالصةِ، وإنَّما جاء بطريق الحال لما يشعر به الحالُ من تصوير هيئتهم، وبيانِ حالِهم الدائم في الجنَّة، وأجاز بعض المفسِّرين أن يكون منصوبًا على المدح للإشعار بعظمِ أخوَّتهم في الجنَّة، وأنَّها أعظم من أخوَّة الدُّنيا(2).

دلالة قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾:

تزاورُ أهلِ الجنَّة واجتماعُهم فيها وحسنُ أدبِهم بينهم بالتَّقابلِ دونَ التَّدابرِ

يحتمل أن يكون ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ و﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ حالين آخرين، فيكون في الجملة ثلاثة أحوال، هي كونهم إخوانًا متآلفين متعاطفين، وعلى هيئةٍ مخصوصةٍ من الجلوس على سررٍ، فهم في مجلسٍ رفيعٍ موطَّأٍ مرتاحين مسرورين(3)، وعلى هيئة التَّقابل في الوجوه ينظر بعضهم إلى وجوه بعضٍ متصافِين، فإنَّ التقابل يقتضي صفاء القلوبِ، كما يحتمل أن يكونا صفتين لـ﴿إِخۡوَٰنًا﴾(4)، لتقييد أخوَّتِهم بكونِها على سرر ومتقابلين، ليفيد دوامَ أُلفتهم ومحبَّتِهم وسرورِهم في أخوَّتهم، ففيه تعظيمٌ لشأنِ الأخوَّة في الدين.

سرُّ التعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾:

علوُّ مكانتهم في نعيم الجنان

في التعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 9/138، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/169.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/364، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/148، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/483.

(3) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/204، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80.

(4) أبو البقاء العكبري، التبيان: 1/569، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212.

إشارة إلى عُلوِّ مكانتهم ورفعة منزلتهم وتمكُّنهم من الأسرة، وغير ذلك مما يدلُّ على جملة من أنواع النعيم.

فائدة تردُّد المتعلَّق بين الذكر والحذف:

قلة الكلمات وكثرة المعاني

يحتمل أن يتعلَّق قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ بمحذوف، تقديره متكئين على سرر متقابلين، ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطور: 20]، وقريب منه قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: 15 - 16]، ويحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، ودلَّ على هذا الاحتمال قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤﴾ [الصافات: 43 - 44]، وكل هذه الاحتمالات صحيحة، وكلُّ هذه المعاني متحقِّقة وزيادة.

نكتة التعبير بلفظ ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾:

ما أحلى الاجتماع مع الأصحاب! وما أمرَّ الاجتماعَ مع الأضداد!

لمّا كان التقابل بمعنى التواجه، وهو نقيض التدابر؛ أفادَ دوامَ تقابلهم، فهم في جميع أحوالهم متقابلين في الوجوه، والمواجهةُ أشْرَفُ الْأَحْوالِ، وأحسنُ في الرُّتبةِ والأنسِ وفي التَّلاقي والمحادثة، وفيه كنايةٌ عن اجتماعِهم وأُلفتِهم ومودَّةِ بعضِهم بعضًا، وتواصلهم وتصافيهم وخلوص محبَّتِهم، وهو مناسب لنزع الغِلِّ، فإنَّ الغِلَّ يقتضي التَّدابرَ حسًّا ومعنًى[1].

توجيه المتشابه اللفظي في الآية:

أوفى وصفٍ بعدَ تطهيرِ القلوبِ من الغلِّ هو الأخوَّة في الإيمانِ

جاء في هذه السّورة قولُ اللّه تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا﴾ بزيادة ﴿إِخۡوَٰنًا﴾، وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الأعراف: 43]، والتَّوجيه فيهما هو أنَّ آية سورة الحِجر نزلت في أصحاب رسول اللّه ﷺ،

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 12/613، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/364، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/148.

وآية سورة الأعراف نزلت في عامَّة المؤمنين[1]، كما أنَّه في سورة الحِجر لمّا كان المرادُ تعدادَ أحوالِهم عندَ اجتماعِهم في الجنَّة بقلوبٍ صافيَةٍ، قد نُزِعَ منها الغِلُّ من كونهم على سرر متقابلين، ولا يمسُّهم فيها نصبٌ وتعبٌ وما هم عن الجنَّة بمخرجين؛ ناسب أن يُسبَقَ الكلامُ بذكر أوفى وصفٍ بعدَ تطهيرِ القلوبِ من الغِلِّ، وهو أُخوَّتهم في الإيمانِ، وأمّا في سورة الأعراف؛ فقد اكتفى بذكر أهمِّ وصفٍ عندَ دخولِهم الجنَّة، وهو نزعُ الغِلِّ من صدورِهم من دون ذكر أحوالِهم عندَ الاجتماع لمناسبة ذكر نعيمهم فيها وشكر اللّٰه على هدايتِهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الغِلُّ والضغينة والحقد والحسد:

نـزْعُ الـغِـلِّ من صـدور المؤمنين في الجنَّة تصفيةٌ لجميع الخِصالِ المذمومةِ

الغِلُّ بالكسرِ هو ما يتخلَّل القلب، ويخالطُه ممّا يوجب العداوة والشَّحْناء، ويبقى فيه كامنًا، وينتج منه الحقدُ والضَّغينةُ والحسدُ والبغضاء وغيرها من الخصال المذمومة، ولهذا عُرِّفَ الغِلُّ بالغِشِّ والعَداوةِ والضِّغْنِ والحقْدِ والْحَسَدِ، فالغِلُّ أعمُّ، ومنه تنشأ الصفاتُ المعنويَّةُ المذمومةُ، ولهذا كان نزعُ الغِلِّ من صدور المؤمنين في الجنَّة تصفيةً لجميعِ الخِصالِ المذمومةِ التي تكونُ في القلوبِ، ولو قيل: (ونزعنا ما في صدورهم من حقدٍ) مثلًا، أو (من ضغينةٍ أو من حسدٍ)؛ لقيل: وما حالُ الأوصاف الذميمةِ الأخرى، فعُبِّرَ بالغلِّ للإيذانِ بنزعِ جميعِ الخصالِ القبيحةِ، وذهب القرطبيُّ إلى أنَّ الغِلَّ هو الحقْدُ الكامنُ في الصَّدر، وعلى هذا القول يكون الفرقُ بينَ الغِلِّ والحقدِ: أنَّه لمّا كانَ الحقدُ إمساكَ العداوةِ في القلبِ والتَّربُّصَ بمَن يحقد عليه؛ كان الحقدُ على معنى إضمار الشَّرِّ، ولا يكون كامنًا

(1) زكريا الأنصاري، فتح الرحمن: 1/298.

ومتلبِّسًا بالقلب مثل الغِلِّ، كما أنَّ الغِلَّ هو حقدٌ مضمَّن معنى الحسدِ فيكون الغِلُّ أعمَّ من الحقدِ وأشدَّ تمكُّنًا في القلب منه، والفرق بين الحقد والضَّغينة: هو أنَّ الضَّغينةَ هي الحقد الغليظ الشَّديد الذي ينطوي عليه القلب، فيكونُ مضمرًا مكتومًا، فالضَّغينة أشدُّ من الحقدِ[1].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/208، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (حقد، ضغن، غل)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (حقد، ضغن).